



الإصلاح

16 في ثنایا القرآن

مسجد عبد الغني النابلسي - خطبة جمعة

2025-01-17

دمشق

سورية

الخطبة الأولى:

يا ربنا لك الحمد ملاً السماوات والأرض، وملاً ما بينهما وملاً ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لقا أعطيت، ولا مُعطي لقا منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، ومن ذل الشرك إلى عز التوحيد والعبودية، فجزاه الله عنّا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

قانونان ثابتان: الله تعالى لا يُضيع أجر المصلحين ولا يصلح عمل المفسدين.

وبعد أيها الإخوة الأكارم: كلمة يروجها أصحاب العقول الراجحة، وتتوق إليها النفوس السليمة، جاء بها الأنبياء فنقلوا الناس من الظلمات إلى النور، كلمة يجب أن تكون عنوان المرحلة القادمة في بلادنا، مرحلة البناء، بناء الدولة، وبناء المجتمع، وبناء الإنسان، إنها كلمة الإصلاح، وهل هناك أجمل من الإصلاح؟ هل هناك أجمل من أن يصلح الإنسان علاقته بربه؟ ثم يصلح علاقته بمن هم حوله، ثم يصلح علاقته بمجتمعه، ثم يصلح علاقته حتى بالبيئة من حوله، من جمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ.

أيها الإخوة الكرام: يصف الله تعالى المؤمنين فيقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)

(سورة الأنعام)

حاشا لله أن يُضيع أجر إنسانٍ أراد إصلاحاً، إصلاحاً في مجتمعه، أو في بيئته، أو إصلاحاً لنفسه (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) وفي الطرف المقابل قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَفْقَا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السُّخْرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81)

(سورة يونس)

هما قانونان، وشئتان من شئن الله تعالى في خلقه (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) قانونٌ ثانٍ، الله تعالى لا يُضيع أجر من أصلح، ولا يُضِلُّ عمل من أفسد، فالمفسدون في الأرض مهما رأيت من قوتهم، ومن جبروتهم، ومهما توهمت أنهم يُسيطرون، ويحكمون ويملكون، فإنَّ الله تعالى سنَّ قانوناً لا يتبدل، وهو أنَّ الله لا يُضِلُّ أعمالهم، وقد رأيتكم بأمِّ أعينكم، كيف أنَّ الله تعالى لم يُضِلُّ عمل المفسدين، ولم يُهَيِّئ لهم، ولم يُمكن لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)

(سورة الأعراف)

ويقول تعالى أيضاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۚ وَلَا تَنْسَ تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ وَلَا تَبِغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)

(سورة القصص)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُلِكَ الْخَرْتُ وَالْأَسْئَلُ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدِينَ (205)

(سورة البقرة)

وهنا (تَوَلَّى) تجمل معنيين: تولى أعرض، ترك الناس وأوى إلى شأنه، والمعنى الثاني (تَوَلَّى) أي أصبح ذا ولايةٍ، ولَّاه الله تعالى أمراً (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُلِكَ الْخَرْتُ وَالْأَسْئَلُ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدِينَ).

وفي الحديث الصحيح:

{ إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ قَبْلَ وَمَنْ الْغُرَبَاءُ قَالَ: الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ. }

الأمم تنهض بالصالحين والمُصلحين معاً:

فإذا أردت أن تكون من عُرباء آخر الزمان، فأصلح عند الفساد، لا تقل ضع رأسك بين الرؤوس، وإنما قل سأصلح وحدي ولو فسد الناس جميعاً، والإسلام أئها الإخوة، يُمْتَر بين الصالح والمُصلح، فالأمم لا تنهض بالصالحين فحسب، ولكنها تنهض بالصالحين والمُصلحين قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (117)

(سورة هود)

يبادرون بالإصلاح ولا يكتفون بصلاح النفس.

ما معنى الإفساد؟

ما الفساد أئها الإخوة؟ الفساد أن تُخرج الشيء عن طبيعته، اللبن له طبيعة اللهم زدنا منه، كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وإذا شرب لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه و زدنا منه، فإنه ليس

شئٌ يجزى من الطعام و الشراب إلا اللبن }

(أخرجه أبو داوود والترمذي وأحمد)

اللبن له طبيعة، طعمه طيب، يُهدئ الأعصاب، يُشعر الإنسان بالراحة، هو فطرة من الفطر التي فطر الله الناس عليها، الآن لو جئت بنقطٍ من النفط البنزين ووضعتها في اللبن ماذا صنعت؟ أفسدته، أفسدت اللبن، أخرجته عن طبيعته، هل يمكن أن تشربه الآن؟ مستحيل.

هذه البيئة صالحة خلقها الله تعالى، الهواء نقياً، عندما تُخرج عوادم السيارات، وعوادم المعامل، وتنتف سمومها في الهواء، نحن تُفسد الهواء، فالإفساد أن تُخرج الشيء عن طبيعته التي خلقه الله تعالى عليها.

الآن المرأة مثال ونموذج، لأنَّ أعظم ما يُكاد اليوم في الإفساد يُكاد للمرأة، المرأة خُلقت لتكون أولاً بنتاً، ربحانة تملأ البيت حُباً، جارية تجري في البيت، ثم تكبر فتكون أختاً يحترمها إخوتها ويجعلون لها مكاناً عليّاً، وتبادر هي إلى خدمة البيت، ثم خلقها الله لتكون أمّاً، ثم خلقها لتكون زوجةً.

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ حُلْفَنَ مِنْ صِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ

دَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا. }

(أخرجه البخاري ومسلم)

ثم تصبح أمّاً فيتسابق الأبناء لبرّها، ثم تصبح جدّة لها صدر البيت، يتسابق الأبناء والأحفاد لتقبيل رأسها، هذه المرأة خُلقت لهذه المهمة، وبهذا الشكل ما الذي صنعه الغرب وصنعه الإعلام وبعض الشرق؟ أفسدوها، لا تُطيعي زوجك، تحرري من سلطة البيت، عمك خارج البيت، أصبحت سلعةً توضع مُترجحةً على السِّلَع، من أجل أن تجذب الزبائن لشراء السِّلَع، أفسدنا المرأة، أخرجناها عن طبيعتها التي خُلقت من أجلها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)

(سورة الروم)

وليس بما خلق الله، الله تعالى لم يخلق فساداً، خلق صلاحاً ولكن (طَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

أول الإصلاح أن يُصلح الإنسان علاقته بربه ثم علاقته بمن حوله:

أبها الإخوة الكرام: أولاً يجب أن نُصلح علاقتنا برينا، هذا أول الإصلاح، أول محور في الإصلاح أن يُصلح الإنسان علاقته بربه، ثم علاقته بمن حوله، لذلك يتكرر في كتاب الله قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)

(سورة المائدة)

(يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ) تعبير عن إصلاح العلاقة بالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ مَا أَوْجِبَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

(سورة العنكبوت)

(وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) تعبير عن إصلاح علاقة الإنسان بالإنسان، يُقيم الصلاة مع ربه ويؤتي الزكاة مع خلقه، فتصلح علاقته بربه وبالناس من حوله. وأما المجتمع فلا يصلح إلا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم، وإقامة العدل، حتى يصلح المجتمع بأسره، ففي الصحيح:

{ أَنَّ فُرَيْسًا أَهَمَّهُمْ سَأُنُ الْمَرَاةَ الْمُحْزَوِيَّةَ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ قَاخْتَلَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِمْ اللَّهُ لَوْ أَنَّ قَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. }

(صحيح البخاري)

هذا إصلاح المجتمع، إصلاح المجتمع ما يُسمّى اليوم بسيادة القانون، وهو في الحقيقة في المصطلح الشرعي، إقامة حُكم الله تعالى على الجميع دون تمييز.

العصور التي تمر بها البشرية:

أبها الأحباب: إن العصور التي تمر بها البشرية ثلاثة عصور، العصور الأول هو عصر المبادئ والقيم، وهو العصر الذي عاش به النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت به الأمة من بعده من الصحابة والتابعين والخلفاء، القيمة للمبدأ، والأشخاص جميعاً يصغرون أمام المبادئ، ثم تنتقل الأمة إلى عصر آخر وهو عصر الأشخاص، فالناس يُعظمون الشخص بعض النظر عن المبدأ الذي يحمله، فقط لأنه فلان، ثم يأتي عصر هو عصر الأشياء، فالناس لا ينتهون إلى المبدأ، ولا إلى القيمة، ولا إلى الشخص، وإنما ينتهون إلى الأشياء التي يملكها الأشخاص، فيقيم الشخص لا بمبدئه، ولا بذاته، وإنما بسيارته التي يركبها، وهذا أسوأ عصر، بل ربما يُقيم في بعض البلدان بلوحة سيارته، فإذا كانت تحمل أرقاماً متشابهة كانت قيمته أعظم عند الناس، إلى هذا الحد وصلنا في الدرك في البشرية! إن الناس لا يُقيمون ولا حتى بما يحملون من علم، وإنما يُقيمون بأشياءهم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "قيمة المرء في آخر الزمان مناعه"، والعوام يقولون: معك قرش قيمتك قرش، هذا أسوأ العصور.

نريد أن نعود بالأمة إلى العصر الأول، عصر المبادئ والأشخاص، لئلا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان سيدنا أبو بكر من أعظم الناس حزناً على وفاته، كيف لا ورسول الله يقول:

{ كَاتَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُخَاوَرَةً، فَأَعْصَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَأَنْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْصَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَعْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَعْلَقَ بَاتَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأُقْبِلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَتَحُنُّ عِنْدَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ قَالَ: وَتَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأُقْبِلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَبْرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَعَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِيَّيْهَا النَّاسُ، إِيَّيْ رَسُولُ اللَّهِ إِيَّكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَّبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: غَامَرَ: سَبَقَ بِالْخَيْرِ. {**
(أخرجه البخاري ومسلم)

{ حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، غَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخَرْقٍ، فَعَقَدَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ آمَنَ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بِنِهَايَةِ فُخَاقَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُنْجِدًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خَلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، **سُدُّوا عَنِّي كُلَّ حَوْجَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، غَيْرَ حَوْجَةٍ أَبِي بَكْرٍ. {**
(صحيح البخاري)

كان أكثر الصحابة حزناً عليه، لكن ما الذي فعله أبو بكر؟ وقف بين الناس وقال: " **من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت** " ثم قرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرُّ
اللَّهُ شَيْئًا ۚ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)**

(سورة آل عمران)

قال عمر: "كأنني أسمعها لأول مرة".

فانتصر أبو بكر رضي الله عنه بالمبدأ والقيمة، ولو الشخص هنا أعظم خلق الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة الأحباب: أمّا عصر الأشخاص فيتعلق الناس بالشخص، وأمّا عصر الأشياء فيتعلق الناس ببيت الشخص وسيارته ومساحة بيته، ومكان سكناه في أي حيٍّ من الأحياء يقطن.

قصة سيدنا عمر رضي الله عنه مع ملك الغساسنة:

أيها الإخوة الكرام: هذا سيدنا عمر رضي الله عنه، لما جاءه جيلة بن الأيهم ملك الغساسنة، نحن الآن أمام شخص مهم جداً، ملك الغساسنة، والغساسنة مملكة كانت تحت سلطة الروم في بلاد الشام، يعني فتح عظيم أن يأتي ملك مسلماناً، اليوم لو قلت لك جاء ملك إسبانيا مسلماناً، فتح عظيم، جاء رجلٌ من الملوك ليُسَلِّمَ عند عمر رضي الله عنه، الآن هذا الرجل أسلم ونزل يطوف بالبيت، وأثناء طوافه بالبيت داس بدوي من فزارة على طرف رداءه فأسقطه عن كتفه، فأخذته العزة بالإثم، والتفت إلى البدوي فلطمه لطمه هسّمت أنفه، ذهب البدوي إلى عمر رضي الله عنه ليشكو له ما فعل هذا الملك، استدعى عمر ملك الغساسنة وأجلسه أمام هذا البدوي وقال له: <>.
قال: أنا مرتدٌ إذا أكرهتني.

الآن سيدنا عمر يواجه مشكلة، المبدأ أم الشخص؟ إذا كان الشخص، نلتفت للبدوي ونقول له حفاك على رأسنا، وهذه مئة درهم استعن بها على حاجتك، وأنت لا ترتدّ عن دين الله، ولا نخسرنا شخصاً بقيمتك، لكن سيدنا عمر ما أثر الأشخاص على المبادئ، التفت إليه وقال: <>، قال: أمهلني إلى الصباح، أريد مهلةً حتى آخذ قراراً، إمّا الرّدة أو أن يأخذ حقه مني ويهشم أنفي، وتدبّر أمره ليلاً وتسلل مع بعض الجنود في جنح الظلام، وهرب وعاد إلى الروم إلى مملكته.

وإتماماً للقصة فيعد حين من الزمن، طبعاً جيلة تنصّر وعاد إلى مملكته، وأدنى هرقل مجلسه وأعرّجه لأنه رجع مرتدّاً، ثم إنَّ عمر رضي الله عنه أرسل رسولاً إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فلما عاد سأله عمر: أقيمت هرقل؟ قال: نعم، قال: وقدمت له الرسالة؟ قال: نعم، اعنتني هرقل بالرسالة لكنه لم يُجب إلى الإسلام، لكن الرسالة قادمة من أمير المؤمنين اعنتني بها، الآن عمر رضي الله عنه لم ينسَ جيلة، قال له: ولقيت جيلة؟ قال: لقيته، قال: وماذا كان يصنع؟ قال: كان يشرب الخمر، قال عمر: **أبعده الله، تعجّل فانيةً بياقية، أخذ الدنيا وترك الآخرة، لا أسف عليه لأنَّ المبدأ فوقه، لأن المبدأ فوق الرجال، قال الرجل: وسمعتني يُنثِد:**

ليتنى بلا سمعٍ وبلا بصرٍ وبقيت على ديني لكن فات الأوان.

خطوات منهج الإصلاح:

أيها الإخوة الكرام: لا بُدَّ من الإصلاح أن يُصلح الإنسان علاقته بربه من خلال الصلاة المُتقنة، وأن يُصلح علاقته بالناس من خلال الإحسان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ (43)

(سورة البقرة)

وأن يُصلح علاقته بالمجتمع من خلال العدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقرآن الكريم يُلخِّص منهج الإصلاح، والكلام هنا مهمٌ جداً، في آيةٍ واحدةٍ لخصَّ القرآن منهج الإصلاح كله، فقال تعالى على لسان شُعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَتَاهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)

(سورة هود)

هذه خمسة بنود.

البند الأول: وضوح المنهج في الإصلاح، (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ) عندما تنطلق إلى الإصلاح ينبغي أن يكون المنهج واضحاً بيئاً.

الأمر الآخر: قال: (عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي) أي يجب أن يستند منهجنا في الإصلاح، على كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله، ما قال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن الْعُلَمَائِينَ أَوْ مِنَ الْقَوَائِينَ أَوْ مِنَ الدَّسَائِرِ، قال: (عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي) منهج الإصلاح يكون من الله، والبيئته تكون من الله.

ثم قال وهذا أهم بند: قال: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَتَاهَاكُمْ عَنْهُ) إن أردت أن تكون مُصلحاً، فلا تأمر الناس بالصدق ثم يكذب، ولا بأمر الناس بالأمانة ثم يخون، (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَتَاهَاكُمْ عَنْهُ) لا أقول لكم شيئاً وأفعل خلافه، هذا مهمٌ في الإصلاح، أنت تُصلح بيتك وأولادك، فلا تأمرهم بشيءٍ إلا تكون أول الفاعلين له، ولا تنههم عن شيءٍ إلا وتكون أول التاركين له، ثم بعد ذلك لا بُدَّ من الإرادة (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ) يجب أن نسعى بإرادته وعزيمةٍ وصدق، في إصلاح الناس وإصلاح المجتمع، وبعد ذلك لا بُدَّ أن نبذل الجهد والوسع كاملاً (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) استنفذ الجهد كله في الإصلاح.

وأما الأمر الأخير: فهو التوكل على الله (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) فعندما تنطلق إلى الإصلاح تتوكل على الله تعالى.

لا بُدَّ من أن تتعاون جميعاً على الإصلاح:

أيها الإخوة الأحباب: نحن بحاجة في هذه المرحلة الحساسة التي تمر بها بلادنا، إلى تقس الإصلاح عند الجميع، اليوم لا نريد أن نُكرر أخطاء الماضي، اليوم الانسحاب من الشأن العام جريمة، اليوم فتحت كليات الشرطة والأمن أبوابها، فالشباب القادرون، المتمكنون، الأعمار مناسبة، الشروط مناسبة، يجب أن تلتحق بهذه الدورات.

اليوم لا مجال إلا للإصلاح، اليوم عندما تسير بسيارتك في الشارع ويقف بعض المتطوعين ويقول لك: تمهّل، قل له: على العين والرأس، والله بعض الإخوة رأيتهم يوم أمس، مهندسون يعني من أصحاب الشهادات العلمية العالية، يقف على أوتوستراد المزة يُنظم السير رأيتهم يعني، فالناس اليوم مندفعة يجب أن نعينهم، يعني إمّا أن تُصلح وإمّا أن تكون في صف من يُصلح، لا بُدَّ أن تتعاون على الإصلاح، عنوان المرحلة هو الإصلاح، وبمحاوَر متوازية، إصلاح النفس بالعلاقة مع الله عزَّ وجل، صلوات الجماعة في المساجد إصلاح للنفس، ثم إحسان كل إنسان بما يستطيع، الحاجة مانسة اليوم، نُحسن، كل إنسان إذا تولى شخصاً في أسرته، فنحن في خير كبير، ثم بعد ذلك إصلاح المجتمع، بحيث لا تنسحب وتقول أنا لا دخل لي، أنا ليس لي علاقة، لا، أنت لك علاقة، وأنا لي علاقة، والجميع لهم علاقة، لا بُدَّ أن نتشارك في عملية الإصلاح.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَكَ الموت قد تخطأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتّى على الله الأمانى، وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

أيها الإخوة الكرام: احتبس المطر، وهذا عامٌ في بلادنا، نسأل الله تعالى الفرح، ووزارة الأوقاف مشكورةً ووجهت إلى إقامة صلاة الاستسقاء مرةً ثانية، لأنَّ الله تعالى يريد أن تُسمعه أصواتنا، يُحينا أن ندعوه وأن نستغفره، وأن نتوب إليه، فهو جلّ جلاله إذا قلل الماء إنما يُقلله تاديباً لا عجزاً، حاشاه أن يعجز عن شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُؤَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا (16)

(سورة الجن)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقُلْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11)

(سورة نوح)

فنحن بحاجة إلى رحمة الله، وإلى استمطار بركات السماء وخيرات الأرض، وسُئلي صلاة الاستسقاء إن شاء الله عقيب فريضة الجمعة.

الدعاء:

اللهم إهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحقِّ ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعزُّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، فلك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت، نستغفرك ونتوب إليك.
اللهم إليك نشكوا حالنا، اللهم إنا مضطرون إلى رحمتك، اللهم إنا نتوب إليك ونستغفرك.
اللهم غارت العيون وجفت الأرض وقصرت الآمال، وانكسرت القلوب واستكانت النفوس، ولا يرفع ما بنا من الضرِّ أحدٌ غيرك يا ربَّ العالمين، يا إله الأولين والآخرين.
اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً عاجلاً غير آجل، الله اسقِ عبادك وبهائمك وأحي بلدك الميت.
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم، لك الأسماء الحُسنى والصفات العُلى، توجهت إليك القلوب، ورفعت إليك العيون وعظم فيك الرجاء يا ربَّ العالمين.
اللهم سقيا الرحمة لا عذاب ولا بلاء، اللهم أغثنا، اللهم غيثاً يا ربَّ العالمين.
اللهم يا رحمن الدنيا والآخرة، لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيرك طرفة عينٍ ولا أقل من ذلك.
اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشراً ما عندنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ تَفْسِيًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْعُومِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

اللهم بفضلك ورحمتك، أعلِّ كلمة الحقِّ والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم أهلنا في غزّة، اللهم أهلنا في غزّة، أئمت عليهم فضلك، وأوقف هذه الحرب التي أشعلها الصهاينة المعتدون، واجعلها ناراً على أعدائنا يا أرحم الراحمين.

انصر أهلنا في غزّة نصرّاً عزيزاً، أطعم جائعهم، واكس عريانهم، وارحم مصابهم، وآو غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً صالحاً وسهماً متقبلاً يا أرحم الراحمين.
اللهم إنا نسألك أن تجعل بلادنا وبلاد المسلمين، أمناً سخاءً رخاءً يا أرحم الراحمين، أن تجعلها مستظلةً بكتابك، وشنةً نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربَّ العالمين.